اساليب العرب في التعريب

رأينا ونحن نكتب المقالة السابقة انهُ يجدر بنا ان نذكر اساليب العرب في التعريب فانهم حقيقون ان يكونوا قدوةً لنا فيها. ومهما اشتدَّ حرصنا على العربيَّة وحفظها من تطرُّق العجمة اليها لا يزيد على حرصهم لا سيما وانهم هم الذين اعنوها بالكتب الادبية والعلمية ورفعوا شأن المتكلمين بها

ومن اشهر المبرزين في ترجمة كتب الادب عبدالله ابن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة الذي يشهد لهُ كل من طالعهُ انهُ افصح الكتب العربية المترجمة حتى لقد جُعل نموذجًا يحتذيهُ الكتبة المنشئون . والذين يترجمون كتب الادب لا يتقيدون بالالفاظ كالذين يترجمون كتب العلم ومع ذلك تجد ابن المقفع يستعمل كلة بازيار وهي تركيب فارسي معناهُ مربي البازي وكلة مرجين وهي فارسية ايضًا ومعناها الزبل . وكلة فيج وهي فارسية ومعناها رسول السلطان القادم على رجليهِ . وكلة اساورة جمع اسوار وهي فارسية لمن يحسن الرمي . وكلة نيلوفر وهي رومية للزهر المعروف . ونحو ذلك من الالفاظ الاعجمية . واستعمل من التراكيب والاستعارات مثل ذات النفس ، وعداوة الجوهر . وجوهرهم كجوهرك (وكلة جوهر فارسية معرَّبة) ومن ذلك جعل المال زيادة في الرأي والتكن . ونقص الحال . وطلب المادة انحدارهُ وما اشبه من التعابير التي يظهر انها غريبة عن العربية وان ابن المقفع نقلها عن الفارسيَّة

ومن المبرزين في ترجمة كتب الطب والفلسفة او الاخذ عن المترجمين الشيخ الرئيس ابن سينا صاحب كتاب القانون الذي ترجمهُ الاوربيون الى اللاتينيَّة وجعلوهُ كتاب التدريس في مدارسهم فانهُ كان حريصًا على الكلمات العلميَّة الاعجمية والاحتفاظ باصلها ولو ترجمها الى العربية كقولهِ " فصل في قمة النسر السماة دذه بالفارسيَّة وصقركي باليونانية وطفانوس بالمندية وهذه هامَّة كالنملة او كاصغر الديدان قال جالينوس هي صغيرة لا يتوق منها وتكاد لا تبصر لصغرها وهي مما تجر الدم بولاً ورعافًا ومن المقعدة ومن المعدة بالقيء ومن الصدر والرئة ومن اصول الاسنان وربما عظم الخطب فيها فلم تقبل الدواء " . ويشبه ذكر اعراضها ان تكون البلهرتسيا الشائعة الآن في وادي النيل . وذكر الحيات على انواعها ولم يذكر اسمًا عربيًّا حتى ذكر عشرة اسماء يونانية وقد عددنا لهُ في صفحة واحدة ١٦ كلة اعجمية . ولو كان في هذا العصر لما حاول ترجمة الكلمات العلميَّة الجديدة بل نقلها الى العربية كما هي على ما يظهر . والذي يقرأ وصفهُ التشريحي لاعضاء الجسم المختلفة يظن انهُ يقرأ كتابًا من

كتب التشريح الحديثة مثال ذلك قوله في تشريح الحنجرة

" الحنجرة عضو غضروفي مؤلف من غضاريف ثلاثة احدها الغضروف الذي يناله الحس ويسمى الدرقي والترسي اذ كان مقعّر الباطن محدّب الظهر يشبه الدرقة وبعض الترسة . والثاني غضروف موضوع خلفهُ يلي العنق مربوط به يعرف بانهُ الذي لا اسم لهُ . وثالث مكبوب عليهما يتصل بالذي لا اسم لهُ ويلاقي الدرقي من غير اتصال وبينهُ وبين الذي لا اسم لهُ مفصل مضاعف بتقرتين فيهما زائدتان من الذي لا اسم لهُ مربوطتان بهما بروابط ويسمّى المكبي والطرجهاري وبانضمام الدرقي الى الذي لا اسم لهُ ويتباعد احدهما عن الآخر يكون توسّع الحنجرة وضيقها وباكباب الطرجهاري على الدرقي ولزومه اياهُ وبتجافيه عنهُ يكون انفتاح الحنجرة وانطلاقها وعند الحنجرة وقدامها عظم مثلث يسمّى العظم اللامي تشبيهاً بكتابة اللام في حروف اليونانيين اذ شكلهُ هكذا Λ "

وقال الدكتور ورتبات في كتاب التشريح الذي وضعهُ حديثاً على نسق الكتب الاوربية الحديثة " الحنجرة عضو الصوت وهي موضوعة في الجزء العلوي من القصبة .... تأليفها من غضاريف لها اربطة تربطها بعضها ببعض وعضلات تحركها وغشاء مخاطي يبطنها واوعية واعصاب . وغضاريفها تسعة ثلاثة مفردة وثلاثة مزدوجة وهي الدرقي والحلقي ولسان المزمار والطرجهاريان والقرنيان الجنجريان والاسفينيان " . ثم شرح ذلك شرحاً مسهباً حسب تقدّم علم التشريح . وقال في وصف العظم اللامي " يسمّى هذا العظم باللامي لان فيهِ بعض مشابهة للام اليونانية ويقال لهُ اللساني ايضاً لانهُ حامل اللسان ولان العضلات اللسانية مرتبطة بهِ "

ومن كتب ابن سينا المشهورة كتابهُ في اصول المنطق وهو مبنيٌّ على كتب اليونان وذكر آرائهم قال في الكلام على المطلقات " المطلقة فيها رأيان رأي ارسطس ثم ثامسطيوس وغيرهم انها هي التي لم تذكر فيها جهة ضرورة للحكم ..... واما اصحاب الرأي الثاني ومنهم الاسكندر فيرون ان هذا النقل واجب في المطلق " . وكيفما كانت كتب المنطق رأيت ان علماء العرب تابعوا فلاسفة اليونان في مصطلحاتهم وتعابيرهم

وقد جرى علماء العرب في الرياضيات مجرى عملائهم في الطبيعيات والتعليمات اي انهم تابعوا اليونان في كل ما نقلوهُ عنهم وجروا على اساليبهم . قال نصير الدين الطوسي في مقدمة كتابهِ تحرير الاصول لاقليدس " ان العلوم الرياضية التي هي واسطة عقد الحكمة النظرية تنقسم الى اربعة اقسام الهندسة والارثماطيقي والموسيقى والمجسطي وهو غايتها وكان كتاب الاصول الذي يقال لهُ الاستقص (لتحليل سائر العلوم الرياضية اليهِ) في سالف الايام

مرتباً على خمس عشرة مقالة فمال بعض ملوك اليونان الى حلم فاستعصى عليه فاخذ يتمم اخبار الكتاب من كل وارد من اهل العلم فاشار بعضهم الى رجل من بلد صور يقال له اقليدس انهُ مبرز في علمي الهندسة والحساب فطلبهُ الملك وامرهُ بتهذيب الكتاب وترتيبهِ فهذَّبهُ ورتبهُ على ثلث عشرة مقالة واشتهر الكتاب باسمهِ "...

وقال في صدر المقالة الاولى " لكل علم موضوع ومبادئ ومسائل . وموضوع كل علم ما يبحث فيهِ عن اعراضهِ الذاتية وهي المحمولات التي تلحق الشيء لذاتهِ او لجزئهِ او لما يساويهِ من المحمولات الخارجة عنهُ . والمبادئ اما حدود موضوعاتهِ او قضايا في مقدمات براهين مسائلهِ اما مبينة في ذلك العلم من غير ان يستلزم الدور او في علم آخر ولتقدم في اوائل الكتب مجردة عن البراهين وقد تقدم منها لا على انها من براهين ذلك العلم وتسمى مصادرات واصولاً موضوعة واما مبينة بذواتها وتسمى علوماً متعارفة . والمسائل هي قضايا يبرهن فيهِ على اثبات محمولاتها لموضوعاتها او سلبها عنها "

وواضح لمن يقرأ هذه السطور ان كثيراً من الفاظها وتعابيرها ليس من مباحي العرب ولكن مترجمي اقليدس والجارين في خطتهم مثل ثابت بن قرة الحراني وحجاج بن مطر ونصير الدين الطوسي وسنان بن جابر الحراني لم يقيدوا بالفاظ الشعراء والادباء واساليبهم بل اخضعوا اللغة لاغراضهم فعربوا واستعاروا وتصرفوا كيف شاؤوا على ما اقتضاهُ نقل المعاني الى العربية . وهذا ينبغي ان يكون شأننا نحن اذا اردنا ان نجاري العصر ونسير في طريق العلم . وقد قيل

لا يعرف الشوق الا من يكابدهُ ولا الصبابة الا من يعانيها

فالحاجة الى التعريب واساليب التعريب لا يعرفها ولا يقوم بها الا اصحاب كل فن في فنهم . فالجراح الذي قرن العلم بالعمل واتمم بالتعليم يعلم ما تحتاج اليهِ صناعتهُ من التعريب . والصيدلاني الذي قرن العلم بالعمل واتمم بالتعليم يعلم ما تحتاج اليهِ صناعتهُ من التعريب . وقس على ذلك الفلكي والفسيولوجي والبيولوجي والجيولوجي والباتي والرياضي والنوتي وقائد الجيش وصانع الآلات والادوات . اما أن تقيم نحوياً او منطقياً او مؤرخاً او منشئاً لوضع كلمات في علم الفلك وعلم الهندسة وعلم النبات وعلم الحيوان والعلوم الطبية والطبيعية والرياضية فمثل تخويلك قاضياً تطبيب الابدان وطبيباً تصوير الالوان . نعم انهُ لا بد من الاستعانة بعلماء اللغة الذين يحفظون متونها ويسهل عليهم استحضار الفاظها ولكن يستحيل الاستغناء بهم عن العلماء الاختصاصيين او الذين لهم المام واسع بمختلف الدلوم والفنون وقد قرنوا العلم بالعمل زماناً طويلاً